

(تضيق)

هناك مَنْ يُحَقِّقُ مَجْدَهُ حِينَ يُضَيِّقُ عَلَيْكَ

يضعُ أَمَامَ طَرِيقِكَ الْعُقَبَاتِ

يشعرُ بالفوزِ باللذةِ بالنشوةِ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ

فهو لَا تَارِيخَ أَلَقٍ لَهُ يُسْتَنْدُ إِلَيْهِ

وَلَا تَوَازَنَ يُنْعَشُ نَفْسِيَّتَهُ الْمُضْطَرِبَةِ

هو بالضبطِ مِثْلُ مَنْ يَسْلُبُ الشَّعْرِيَّةَ عَنِ الْقِصَائِدِ الْحَيَّةِ

عَنِ الْقِصَائِدِ الَّتِي يَحْفَظُهَا النَّاسُ فِي صُدُورِهِمْ

عَنِ الْأَبْيَاتِ الَّتِي تَحْفَرُهَا الْحَسَنَاتُ عَلَيْهَا

عَلَى مَعْلَقَاتِ سِلَاسِلِ فَلَانْدِهِنَّ الْبَرِّاقَةِ

كَمَا يَسْلُبُ الشَّعْرِيَّةَ عَنِ كُلِّ نَصٍّ لَهُ حُضُورٌ مُطْلَقٌ

عَنِ كُلِّ مَبْدَعٍ لَهُ حُضُورٌ لَدَى مَنْ نَظَنُّهُمْ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنِ الشَّعْرِ

عَنِ السِّيَّابِ بَعْدَمَا دَفَنَ أُسَاطِيرَ الْإِغْرِيقِ فِي مَدْخَلِ سَوْقِ الصَّفَارِينِ

فِي مَدْخَلِ الْمَكَانِ الَّذِي اسْتَلْهَمَ مِنْهُ الْخَلِيلُ أَنْغَامَ الْأَشْعَارِ

منه التقطَ مستفعلن ، ومنه التقطَ متفاعِلن

ومنهُ أُخذَ السيَّابُ موسيقى نصوصهِ الداخليَّة

مِنْ تَأْجُّجِها الفاعلِ في النصوصِ مِنْهُ أُخذَها لا منها

حتى كأنَّ تمثُّلاتِها بمثابة لزومٍ ما لا يلزمُ في شعْره الحر

حتى لغته صارتْ أكثرَ صفاءً بعدما دفنَ أساطيرَهم

صارتْ كلماتُهُ عذبةً خفيفةً على القلبِ ، وصار لها أعماق

هي مثْلُ حنْجرة فتاةٍ هنديَّةٍ حين تشدو بالكلمات

تجعلُ الحرفَ الواضحَ ذا إحياءات

تمدُّهُ مدًّا لتسرحَ معه العقولُ قبلَ القلوبِ

وكذلك نحن نسرحُ مع نشوةِ الطفلِ إذا خاف مِنْ القمرِ

مع تكرارِ كلمةٍ مطرٌ ، مطرٌ ، مطرٌ

حتى مَسَّ مِنْ قَدَمٍ لمختاراتِهِ ما مَسَّه مِنْ الجنونِ

مِنْ جنونِ حَسَدِ أهلِ الكارِ على فرضِ أنَّهُ مِنْهم

فقد حسدَ السيَّابَ على لغته الواضحة المؤثِّرة ياللهول

عدَّها منقوصة الشَّعريَّة وعدَّ نفْسَهُ صانعَ دستورِ الشعراء

صانعَ رؤى الشَّعرِ التي ينبغي علينا أن نؤمنَ بها

أن نصدِّقَه فيما يقول

فهو في نظرِ نفسِه حَذَام

وهو إذا قال إنَّ لغةَ الشَّعرِ لا تُفْهَمُ إلا بعدَ أجيالٍ قلنا نعم

وإذا قال إنَّ شِعْرَ يَسَّـةَ السيِّـابِ منقوصةٌ قلنا منقوصة

هو يضعُ العقباتِ أمامَ كُلِّ شاعرٍ يسعى إلى التَّألُّقِ

يُريدُ منه ألا يكونَ كالسيِّـابِ فيفقدَه توازنَه

يُريدُ منه ألا يجمعَ بين الحُسنيين

حُسْنِ العمقِ وحُسْنِ التأثيرِ في الجمهورِ

حُسْنِ محبَّةِ الناسِ العاديين لشِعْرِه

حُسْنِ انشغالِ أهل الاختصاصِ بقراءةِ نصوصِه

ولذا يضعُ العقبةَ التي تصدِّ الشُعراءَ عن سبيلِ الإبداعِ

يُقدِّمُها بصورةٍ مفهومٍ جديدٍ للشَّعرِ يَسَّـة

وهو أيضاً يُسلِّي نفسَه بها ويواسيها

يُمنِّي نفسَه بالأمانِ التي لن تتحقَّقَ

هو يحيا علاّمة التوّجّد مع نصوصه المترنّحة

ويحيا الناسُ مع أنشودة مطر السيّد

مع طبية البان ترعى في خمائله

ومع موسيقى بعض نصوص الذّفرى العذبة

موسيقى نصوصه التي لا يرقى إليها نصّ منجز أجَد.